إنتاج الكتاب المخطوط بالمغرب

الوافي النوحي
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

Le métier des artisans du livre a attiré l'attention de nombreux Marocains dès les premières années de l'ère islamique. Cet intérêt est justifié par plusieurs raisons matérielles et morales. D'abord, l'industrie du livre garantissait une source de revenus pour les artisans ; ensuite, elle permettait la diffusion du savoir en réponse à des besoins manifestés par les mosquées, les écoles coraniques, les zaouias et les grands centres dédiés à la recherche scientifique. Ainsi, les villes comme Ceuta, Fès, Marrakech, Taroudant étaient de grands espaces de circulation des livres manuscrits. De même, le Maroc exportait ceux-ci vers les pays de l'Afrique subsaharienne.

Les artisans du livre marocains, inspirés par leurs homologues de l'orient islamique, ont très vite développé des techniques, des méthodes et des outils adaptés à la culture et aux matériaux locaux et ont même initié ce que l'on peut nommer « l'école marocaine de confection des manuscrits ». Il faut souligner que les matières premières étaient toutes d'origine locale et que l'industrie du livre mettait en relief les savoirs et les savoir-faire locaux.

مقدمة:

اهتم المغاربة منذ العصور الإسلامية الأولى بإنتاج الكتب، لما لهم في ذلك من فوائد متعددة، مادية ومعنوية، يتجلى أولها في الرغبة في نشر العلم والمعرفة، وذلك بتزويد السوق المحلية والمراكز العلمية بالحواضر الكبرى، مثل فاس ومراكش وتارودانت وغيرها بالكتب، وإغناء مكتبات المساجد والمدارس العلمية والزوايا...، كما كانت الكتب تصدر من المغرب إلى إفريقيا جنوب الصحراء. وإلى الشرق عن طريق الحجاز خلال مواسم الحج، هذا إضافة إلى ما يوفره هذا الإنتاج من أسباب العيش لمحترفي هذه الصناعة.

وكانت صناعة الكتب قائمة الذات، لها أصولها وقواعدها والمشتغلون بها والمستفيدون منها، ونبغ فيها المغاربة مثل غيرهم، بعد أن استلهموا التجربة المشرقية، فأسسوا لما يمكن الاصطلاح عليه **بالمدرسة المغربية في صناعة الكتاب المخطوط**. وكانت المواد الأولية المستعملة في هذه الصناعة محلية، كما احترفها كثير من الناس فكانت مصدر عيشهم. وكان

الكتاب المخطوط يمر بمراحل متعددة قبل أن يكون قابلاً للاستعمال، وهذا ما نروم استعراضه هنا للوقوف على الخصوصية المغربية في هذا الباب[1].

- **مفهوم الكتاب المخطوط:**

المخطوط ما خُطّ باليد، سواء بيد مؤلفه أو ناسخ في عصره أو لاحق على عصره وبقي على حاله. ويقابله المطبوع، وهو ما طبع على الآلات، ووزع ونشر. ولفظة "المخطوط" حديثة، بعد ظهور الطباعة، لهذا لا نجد لها ذكراً في كلام المتقدمين.

والمخطوطات أنواع عديدة، منها: الخزائني، والدّعيّ، والمرحلي، والهجين، والحديث، والفريد، والمنسوب، والمطلق... وغيرها[2].

- **تاريخ الكتاب المخطوط بالمغرب:**

إذا صحّ ما نُسب لصالح بن طريف البرغواطي (القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) من وضعه "قرآنا" لقومه باللغة الأمازيغية وبالحرف العربي، وهو كتاب ضاع ولم تصلنا منه إلا بعض المقاطع مترجمة إلى العربية، فسيكون هذا من أقدم المخطوطات التي أُلفت بالمغرب[3]. وبعد ذلك ازدهر التأليف، فقد ساعد انتشار الإسلام في المغرب على نمو ثقافة الكتابة والتدوين، فتولد عند المغاربة اهتمام بالعربية وعلومها، إسهاماً منهم في نشر تعاليم الدين الجديد، فنسخوا كتب السابقين، كما ألفوا وأبدعوا في التأليف، بالعربية وبالأمازيغية، فنبغ فيهم اللغوي والمفسر والمحدث والأصولي والطبيب والرياضي والفلكي... وغيرهم.

- **مراحل إعداد الكتاب المخطوط:**

يمر إنتاج الكتاب المخطوط بعدة مراحل، منذ أن يكون فكرة حتى يصير كراريس يقلبها القارئ بين يديه. وقد حدد الأوائل أركاناً أربعة لهذه الصناعة، هي: الكاغد، والمداد، والقلم، والتسفير[4].

وفيما يأتي استعراض مركّز لأهم المراحل وآلياتها:

---

[1]- أود أن أشكر الأستاذ محمد المغراوي على إفاداته بخصوص هذا الموضوع، والأستاذ عمر أفا على ما أمدني به من أصول لمجموعة من المصورات الملحقة بالنص.

[2]- للتوسع في أنواع المخطوطات ودلالاتها، يُراجع: بنبين، أحمد شوقي و الطوبي، مصطفى (2011): **مصطلحات الكتاب العربي المخطوط (معجم كوديكولوجي)**، مطبوعات الخزانة الحسنية، الرباط، مطبعة أبي رقراق، ط4، ص ص 311-315.

[3]- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت. 487هـ/ 1094م)، (1857): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، نشر البارون دوسلان، الجزائر، ص ص 134-141. ومعلوم أن صالح بن طريف أعلن نبوته وأظهر نحلته سنة 127هـ/ 744م.

[4]- وفي هذا أنشد بعضهم: **رُبع الكتابة في سواد مدادها والربع حسن صناعة الكتاب**
والربع في قلم تسوي بَرْيَه وعلى الكواغد رابع الأسباب
انظر: القلقشندي، أحمد بن علي القاهري (ت. 821هـ/ 1418م)، (1913): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، القاهرة، المطبعة الأميرية، ج2، ص 473.

أولاً: الحوامل:

تعددت حوامل المكتوب عبر العصور، تبعاً لما توفره البيئة من موارد تعين على ذلك، فاتخذ الناس الحجارة والعظام والفخار ولحاء الأشجار، والسعف وجريد النخل والكرانيف[5]، والجلود والألواح والأقمشة والأوراق وغيرها لهذه الغاية. إلا أن المغرب عُرفت فيه الكتابة على ثلاثة منها، وهي: الجلود، والألواح، والأوراق.

1- الجلود:

اتخذ المغاربة، مثل شعوب عديدة كالمصريين القدماء والفرس والآشوريون والإغريق، جلود الماشية للكتابة عليها. وللجلد ثلاثة أسماء، وهي: **الرَّق**، وهو الجلد الرقيق يُكتب فيه[6]، ويُتخذ من جلود صغار الغزلان والحملان والجداء والعجول؛ و**الأديم**، وهو الجلد الأحمر المدبوغ[7]؛ و**القضيم**، وهو الرَّق الأبيض[8] (الصورة 1). وقد كانت الكتابة على الرَّق شائعة بالمغرب الإسلامي، خاصة المصاحف الشريفة والدفاتر، ذكر ذلك المقدسي في كتابه **أحسن التقاسيم**[9]. واستمرت الكتابة على الرَّق عند المغاربة حتى بعد توقفها عند المشارقة، فقد أشار القلقشندي إلى أن المصاحف كانت تكتب بالمغرب الإسلامي إلى عصره (القرن 9هـ/ 15م) على الرَّق[10]. وأورد العلامة المنوني قائمة بالكتب الرَّقية الباقية بالمغرب، وعدّ منها: نسخة مرابطية من **الموطأ**، ومن **محاذي الموطأ**، و**أعز ما يطلب** لابن تومرت، ومن **البيان والتحصيل** لابن رشد، وغيرها، موزعة بين خزانة القرويين بفاس والخزانة العامة بالرباط (المكتبة الوطنية للمملكة المغربية حالياً) وبعض الخزانات الخاصة. مضيفاً أن الكتابة على الرَّق استمرت بالمغرب إلى بداية القرن 19، وذلك في مجال الإجازات القرآنية والوثائق العدلية المهمة[11].

---

[5]- مفردها: كُرْنافة وكِرْنافة وكُرْنوفة، وهي أَصل السعفة الغليظ الملتزِق بجِذْعِ النخلة، إذا يبست صارت أَمثال الأَكتاف. انظر:
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الإفريقي المصري (ت. 711هـ/ 1311م)، (2004): **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط3، ، ج 13-14، ص 57.

[6]- ومنه قوله تعالى: في رَقٍّ مَنْشُور (الطور، 3)؛ أَي في صُحُفٍ (ابن منظور: **لسان العرب**، ج 5-6، ص 205).

[7]- ابن منظور: **لسان العرب**، ج 1-2، ص 72: "الجِلْد ما كان، وقيل: الأَحْمَر، وقيل: هو المَدْبوغُ، وقيل: هو بعد الأَفيق، وذلك إذا تَمَّ واحْمَرَّ".

[8]- ابن منظور: **لسان العرب**، ج 11-12، ص 131: "الجلد الأَبيض يكتب فيه، وقيل: هي الصحيفة البيضاء، وقيل: النِّطع، وقيل: هو العَيبة، وقيل: هو الأَديم ما كان...".
لمعرفة المزيد حول الرَّق وخصائصه واستعمالاته، يُراجَع: ديروش، فرانسوا (2010): **المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي**، نقله الى العربية وقدم له: أيمن فؤاد سيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط2، ص ص: 76-96.

[9]- المقدسي البشاري، أبو عبد الله شمس الدين (ت. 390هـ)، (1906): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق دي غويه، ليدن، ط 2، ص 239.

[10]- القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، م. س، ج2، ص 477.

[11]- المنوني، محمد (1994): "تقنيات إعداد المخطوط المغربي"، ضمن أعمال ندوة: **المخطوط العربي وعلم المخطوطات**، منشورات كلية الآداب بالرباط، ص21.

ومن ميزات الرَّق أنه يكتب عليه على الوجهين، ويمكن أن يمحى ويكتب فيه من جديد، ويسمى إذ ذاك بالرَّق المبشور، أو الطِّرس[12]. وطريقة تحضيره أنه كان ينقع في الماء المغلي لعدة مرات، ثم يُكشط ليزال منه الشعر، ثم يوضع في ماء الجير حتى تذهب عنه المواد الدهنية، فيُنشر على ألواح ليجف، ثم يُدعك بالحجر حتى يصبح ناعماً، ويحك بالطباشير ليكتسب منه البياض، وليكون قابلاً للكتابة عليه[13] (الصورة 2). ونشطت في المغرب صناعة الرقوق، فقد كانت قرب جامع القرويين بفاس عدة دكاكين للرَّقَّاقين الذين يعدّونه للمشتغلين به[14].

الصورة 1 : نموذج من جلود الجداء التي كانت تستعمل للكتابة (عدسة الكاتب)

الصورة 2 : وجه آخر لجلد الجدي المستعمل في الكتابة (عدسة الكاتب)

2- الألواح:

ومفردها: اللَّوْحُ، وهو -لغةً- كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب؛ واللوح: الذي يكتب فيه[15]. أما في الاصطلاح المغربي، فهو من جهة، اللوح الذي يتعلم فيه الأطفال في الكتاتيب، وهو من جهة ثانية، تسمية للأعراف القبلية المدونة عند قبيلة جزولة بالخصوص. ويقابلها: تيعْقِيدينْ أو إزْرْفان أو الأعراف، أو الشروط أو الديوان أو القانون...عند قبائل

[12]- بنبين، أحمد شوقي و الطوبي، مصطفى: **مصطلحات الكتاب العربي المخطوط**، م. س، ص 165.
[13]- حمودة، محمود عباس (1994): **تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط**، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 74.
[14]- المنوني، محمد: "تقنيات إعداد المخطوط المغربي"، م. س، ص 21.
[15]- ابن منظور: **لسان العرب**، م. س، ج 13-14، ص 250.

أخرى[16]. وإنما سميت بالألواح لأنها كانت تكتب أول الأمر على صفائح الخشب، وبقيت تحمل نفس الاسم وإن كتبت على الورق أو غيره. ولعل أقدم لوح جزولي مكتوب يعود إلى سنة 904هـ/ 1498م.

تُتخذ الألواح التي تدون عليها الأعراف وسائر العقود من بيوع وأشرية ورهون وغيرها من شجرة الدِّفلى التي لا تتسوس لمرارتها (الصورتان 3 و4). أما ألواح الكتاتيب القرآنية فإنها تكون من خشب الجوز والعرعار. ولا يزال المغاربة يستعملون الألواح الخشبية في الكتاتيب، لتحفيظ الناشئة القرآن الكريم، ذلك أن المتعلم يعمد إلى اللوح فيطليه بالصلصال، ثم يكتب فوقه ما يمليه عليه المربي من سور وآيات قرآنية ومتون لغوية ونحوية وغيرها. (الصورتان 5 و6). وقد يكون اللوح في بعض الأحيان النواة الأولى للكتاب المخطوط[17].

الصورتان 3 و4 : نماذج من الألواح التي كانت تستعمل للكتابة لدى القبائل والأسر، وتتخذ من شجر الدِّفلى منعاً لتسوسها (عدسة الكاتب)

[16]- للمزيد حول الموضوع، يراجع: أفا، عمر: "الألواح"، **معلمة المغرب**، ج2، 1989، ص 656-657.

[17]- بلورت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب هذه الفكرة، فأعدت مخطوط: **المصحف المحمدي من ألواح الكتاتيب القرآنية**، يحتوي على ما يقارب 340 لوحة تضم ستين حزبا، تم جمعها من ستين كُتّاباً تتوزع على جميع جهات المملكة، بأقلام ستين قارئاً وقارئة. تسطر هذه الألواح مختلف المراحل التي يمر منها الطالب منذ دخوله إلى الكتّاب، حيث يتعلم حروف الهجاء ويحفظ قصار السور، إلى حين تخرجه بعد حفظ القرآن الكريم كاملا. طبع المصحف بالنمسا، وصدر ضمن منشورات الوزارة سنة 2007.

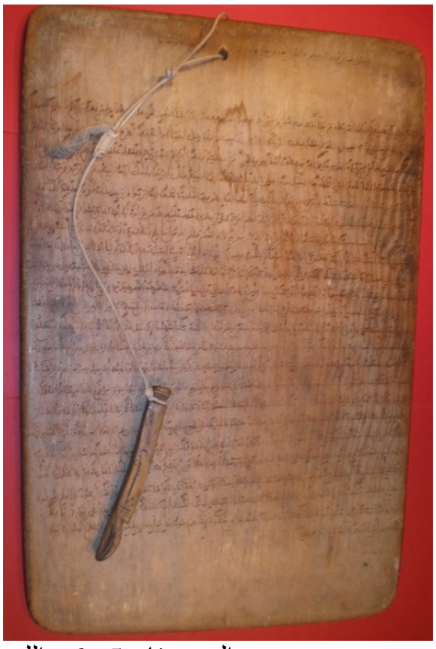

الصورتان 5 و6 : اللوح المستعمل في حفظ القرآن الكريم،
وفوقه الكرّار -الوجه والظهر- (عدسة الكاتب)

3- الأوراق:

للورق عدة تسميات، منها القرطاس والكاغَد وغيرهما. ففي الوقت الذي يستعمل فيه المشارقة تسمية الورق، احتفظ المغاربة بالكاغد كلما قصدوا الورق، وهو مصطلح فارسي، وقيل صيني تسرب إلى العربية لما أخذ العرب صناعة الورق عن الصينيين أواسط القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[18].

ولعل أقدم إشارة لاستعمال الكاغَد بالمغرب ما ورد عند الزياني من وجود 104 من معامله بفاس في عهد يوسف بن تاشفين[19]. ومن مدينتيْ سبتة بالمغرب الأقصى وشاطبة بالأندلس وصل الكاغد إلى فرنسا، قرناً من الزمان على الأقل بعد تعرف صقلية الأغلبية وجنوب إيطاليا عليه –وبعد ذلك ألمانيا- بواسطة إفريقية (تونس)[20].

---

[18]- عبد الوهاب، حسن حسني (1965): **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، تونس، مكتبة المنـار، ج1، ص 207.

[19]- الزياني: **الترجمان**، م.خ.ع (د658)، ص 277، نقلاً عن: المنوني، محمد (1991): **تاريخ الوراقة المغربية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1، ص 21.

[20]- عبد الوهاب، حسن حسني: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، م. س، ص 207-208. ويؤشر هذا إلى أن اختراع الطباعة في ألمانيا- والتي كانت سبباً في نهضة أوروبا- كان بفضل ورق الكاغد هذا.

وتحت مسمى الكاغد، استعمل المغاربة أنواعاً من الورق، منها ما كان ينتج محلياً، إلا أنه كان رديئاً[21]، ومنها المستورد من أوربا الغربية بالخصوص. كما برعوا في تقليد الورق الأوربي، فتميّز منهم عبد الله بن محمد بن أبي عبد الله السوسي[22] الذي كان يُحضِّر الورق الأوربي المعروف بورق اليد (Cartamans)[23]. وقد أثنى عليه شمس الدين السخاوي ووصفه بالماهر في صناعة الورق[24].

ثانياً: أدوات الكتابة:

1- الأقلام:

مفردها قَلَمٌ، ومن معانيه: الذي يكتب به، وسمي كذلك لأنه يُقْلَم أي يُبْرى[25]. ويُتخذ القلم المغربي من القصب غالباً، وقد يكون من الذهب والفضة والنحاس المذهب[26]. يعمد كتاب المخطوطات المغاربة إلى شق أنبوبة القصبة السميكة إلى رشقات، فيستخرجون من كل رشقة قلماً في عرض الإصبع، يسهل إمساكه والكتابة به بشكل مريح (الصورة 7). فينحت للرشقة لساناً بعد أن يُحدث في وسطها ساقية، ويُحدث شقاً خفيفاً في عمق الساقية لينساب منه الحبر من أعلى إلى أسفل بيسر وسهولة، ثم يقطّ رأس الرشقة فتكون قلماً قابلاً للكتابة به (الصورة 8).

---

[21]- وقد ذكر القلقشندي الورق المغربي في جملة أنواع الورق المعروف في عصره، وصنفه في المراتب الدنيا من حيث الجودة، بعد البغدادي والحموي والشامي والمصري، وقبل الإفرنجي. (القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، م. س، ج2، ص 487).

[22]- سكن مصر، ولقب فيها ب "الجمال المغربي"، وتوفي بالفسطاط سنة 803هـ/ 1406م.

[23]- المنوني، محمد: "تقنيات إعداد المخطوط المغربي"، م. س، ص21.

[24]- "الأديب الفاضل الماهر، كان أعجوبة الدهر في صناعة الأشياء الدقيقة، حتى كان يصنع بيده ورقاً يكتب فيه بخطه الدقيق سورة الإخلاص وآية الكرسي وقصيدة مديح من نظمه، ويجعلها في فلقة كزبرة يابسة ويغطيها بالأخرى إلى غير ذلك، سمعت من نظمه، ومات بمصر في جمادى الأولى سنة ثلاث". شمس الدين السخاوي (ت. 902هـ/1496م): **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، القاهرة، مطبعة القدسي، 1935، ج5، ص 57.

[25]- ابن منظور: **لسان العرب**، ج 11-12، ص 182.

[26]- المنوني، محمد: "تقنيات إعداد المخطوط المغربي"، م. س، ص 13.

الصورة 7: الرشقات التي تُشق من أنبوبة القصب لتتخذ منها الأقلام المغربية (عدسة الكاتب)

الصورة 8: نماذج من الأقلام المغربية المعدّة للكتابة على الألواح والأوراق (عدسة الكاتب)

أما القلم المشرقي فإنه يصنع من أنابيب رقيقة من قصب الخيزران في أكثره، ومن الجريد الأخضر، ومن المعادن كذلك[27]. (الصورتان 9 و10).

الصورة 9 : أنبوبة لقصب الخيزران الذي تتخذ منه الأقلام المشرقية (عدسة الكاتب)

الصورة 10 : من اليمين: قلم مغربي، وقلم مشرقي، وقلم صيني (عدسة الكاتب)

[27]- تتميز أنبوبة الخيزران التي تستعمل في المشرق بصغر سمكها، لذا فإن الخطاط يتركها على حالها ويفتحها من أعلاها فتحاً جانبياً، ثم ينحت لها لساناً ويُحدث في وسطها شقاً، ثم يقطّها لتحديد السمك المطلوب، فتصير قلماً جاهزاً للكتابة.

وترتبط بالأقلام آلات أخرى، أبرزها:

أ- المدية أو **السكين** وهي التي تُبرى بها الأقلام؛

ب- المِقط: وهو الذي يُقطّ عليه رأس القلم، ويصنع من عود الأبنوس أو من العاج لصلابتهما؛

ج- المِفرَشة: وهي التي تفرش لتوضع عليها الأقلام، وتكون من الصوف أو الكتان[28].

وتجمع الأقلام، مع أدوات أخرى ذات صلة، في وعاء يصنع من الجلد يسمى **المقلمة** (الصورتان 11 و12). وقد أورد صاحب **التيسير في صناعة التسفير** وصفاً دقيقاً للمقلمة المغربية[29].

(الصورتان 11 و12) نماذج من المقلمات ومن أدوات إعداد الكتاب المخطوط

المصدر: الدليل المرجعي لجائزة محمد السادس لفن الخط المغربي، الدورة الرابعة، 2011، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 2011، ص86.

د- المسطرة: وهي عبارة عن لوح تُسبك على سطحه خيوط متينة دقيقة بعدد السطور المطلوبة، تتناسق فيما بينها حتى تكون متساوية الأبعاد. يتم استعمالها بوضع الورق المعني فوقها، ويدلك عليه باليد حتى ترتسم فيه السطور بتأثير الخيوط الملصقة على المسطرة[30]. والمسطرة أنواع حسب المراد من استخدامها، ومنها: مسطرة الأسلاك، ومسطرة الرَّق، والمسطرة العاجية، وغيرها[31].

---

[28]- حمودة، محمود عباس: **تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط**، م. س، ص 62-63.

[29]- بكر بن إبراهيم اللخمي الاشبيلي، (ت. 628هـ/ 1230م): **التيسير في صناعة التسفير**، تحقيق عبد الله گنون، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**، مج 7-8، 1959-1960، ص 37.

[30]- المنوني، محمد: "تقنيات إعداد المخطوط المغربي"، م. س، ص 28. وانظر تفاصيل دقيقة لشكل المسطرة في: **حلية الكتاب ومنية الطلاب**، لأحمد الرفاعي، خ. ع، د254.

[31]- لمعرفة استخدامات كل نوع منها، انظر: بنبين، أحمد شوقي و الطوبي، مصطفى: **مصطلحات الكتاب العربي المخطوط**، م. س، ص 324-325. وللتوسع في موضوع المسطرة والتسطير، ومفاهيمه وقياساته ونماذجه وتقنياته...، راجع: ديروش، فرانسوا: **المدخل الى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي**، م. س، ص ص: 250-261.

(الصورة 13) نماذج من الدوى والمحابر الفخارية المغربية (عدسة الكاتب)

هـ- الدوى: مفردها دواة، وتسمى المحبرة كذلك، وهي وعاء المداد. وتصنع الدوى من الفخار والخشب، ومن بعض المعادن مثل الفضة والنحاس والحديد، ومن البلور والودع أيضاً. وتصنع التي تُعد للأعيان والرؤساء من الأبنوس أو العاج[32] (الصورة 13). وكانت المحابر تُطيَّب بماء الزهر أو غيره لإزالة رائحة المداد غير الطيبة. ومن مرفقاتها: **المسقاة** أو **الماوردية**، وهي من النحاس في الأعم، يُصب بها الماء وماء الزهر في الدواة[33].

2 - الأمِدّة والأحبار:

مفردها: مداد، وسمي كذلك لأنه يمدّ القلم بمادة الكتابة، وتسمى أيضاً: الأحبار، مفردها: حِبر. وهي تركيبات طبيعية أو كيماوية، تدخل فيها عدة مواد، وبأقدار معلومة. وهي عدة أنواع، منها على سبيل المثال: الحبر التركي، المكون أساساً من دهن الخروف مخلوطاً بالصمغ العربي (المستخرج من لحاء شجرة الطلح) ومضافاً إليهما العسل الطبيعي والماء المقطر؛ والحبر الإيراني المتخذ من نفس المواد غير أن دهن الخروف يستبدل بزيت بذرة الكتان، وهناك أنواع أخرى من الأمدّة، منها ما يستعمل فيها نوى الزيتون المحروق أو الأرز المحمص أو مسحوق الفحم وغيرها، مذابة كلها في الصمغ العربي. وتضاف إلى الأمدّة كمية من الشاي غير المحلى حسب الحاجة[34].

---

[32]- المنوني، محمد: "تقنيات إعداد المخطوط المغربي"، م. س، ص 13.

[33]- حمودة، محمود عباس: **تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط**، م. س، ص 62.

[34]- أورد محمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري (كان حياً سنة 649هـ/ 1251م) في كتابه: **الأزهار في عمل الأحبار**، مائةً وأربع عشرة وصفةً لتركيب الأحبار. انظر: شبوح، إبراهيم: "مصدران جديدان عن صناعة المخطوط: حول فنون تركيب المداد"، ضمن أعمال ندوة: **دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر**، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1997، ص 21.

أما المغاربة فإنهم عرفوا أنواعاً عديدة من الأحبار أيضاً، حيث كانوا يصنعونها -حسب الاستعمال على الألواح أو على الأوراق- من مواد عضوية أو كيميائية، وأغلب الأحبار تكون من الصوف المُتلبد غير النقي المنزوع من حواشي بطن الخروف، ويمزجونه بقشر الجوز المدقوق بعد إحراقه، وبالصمغ العربي، أو من قرون الخروف بعد إحراقها حرقاً يسيراً، ودقّها وخلطها بالصمغ العربي كذلك[35] (الصورة 14).

(الصورة 14): المداد الصلب والسائل والصلصال (عدسة الكاتب)

ومادة الصمغ هذه، الأكثر حضوراً، تُكسب المداد بريقاً ولزوجةً (الصورة 15). وللاحتفاظ بالمداد توضع قطعة من قطن أو صوف في الدواة تسمى: **اللّيقَة**، لكن الأفضل أن تكون من الحرير، لأن انتفاشها في المحبرة وعدم تلبدها أعون على الكتابة[36] (الصورة 16).

[35]- شرح هذه العمليات الفقيه صالح بن عبد الله الإلغي في: **المدرسة الأولى، وصف شامل للتعليم الأوّلي بالمدرسة القرآنية في سوس**، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1998، ص 46.

[36]- القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، م. س، ج2، ص 458.

(الصورة 15) الصمغ العربي أو العلك (بالأمازيغية: تونِينْ)، يمنح المداد لمعاناً ولزوجة (عدسة الكاتب)

(الصورة 16) شرنقات دودة القز (اللَّيقَة)، توضع في الدواة، وتثبت المداد (عدسة الكاتب)

- الأصباغ:

اهتم الكتاب المغاربة بالأصباغ والألوان، وأهمها عندهم الحمراء والزرقاء والخضراء، يستعملونها لرسم الزخارف والتزاويق الهندسية المختلفة الأشكال (الأشكال: من 1 إلى 6)، كما استعملوها لكتابة العناوين الرئيسية والفرعية في كتبهم، وكذا كل ما يودون شد انتباه القارئ إليه مثل اسم الجلالة والآيات القرآنية ورموز القراءات والأحاديث الشريفة والأشعار والحكم، وغيرها. وكانت الأصباغ تتخذ من مواد نباتية مثل الزعفران ودقيق قشر الرمان والنيلة وغيرها؛ أو معدنية، مثل صدأ الحديد والنحاس. وقد تعددت وصفات تحضير الأصباغ في تآليف خاصة[37].

[37]- القلقوسي الأندلسي، أبو بكر محمد (ت. 707هـ/ 1308م): **تحف الخواص في طُرف الخواص، في صنعة الأمدَة والأصباغ والأدهان**، تحقيق حسام أحمد مختار العبادي، منشورات مكتبة الإسكندرية، 2007.

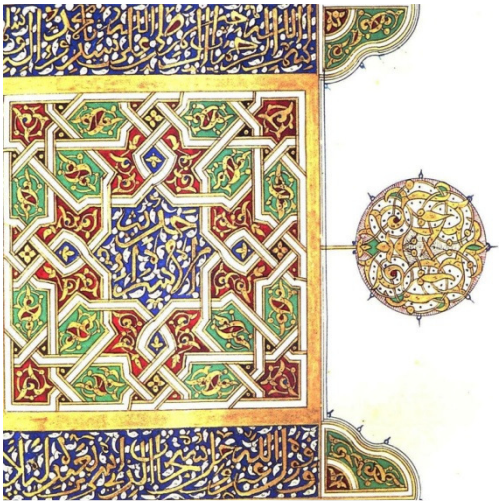

(الشكلان 1 و2) من بدائع الزخرفة المغربية (الخزانة الحسنية - الرباط)

(الشكل 3) **مصحف** مزخرف للخطاط القندوسي
(المكتبة الوطنية للمملكة المغربية-الرباط)

(الشكل 4) بداية **سورة الأعراف** مزخرفة
(المكتبة الوطنية للمملكة المغربية- الرباط)

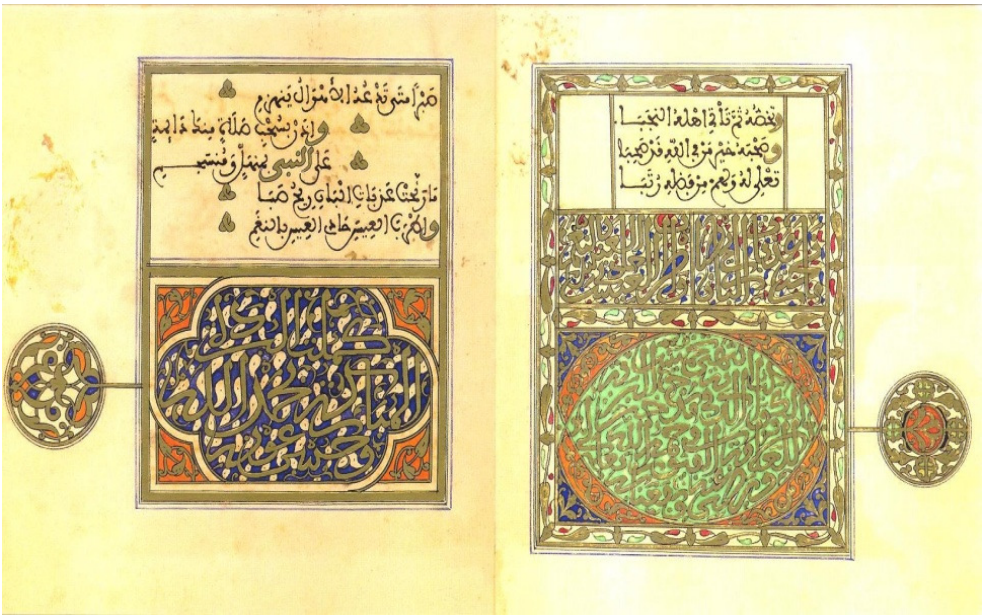

(الشكلان 5 و6) **دلائل الخيرات** لمحمد بن سليمان الجزولي، مخطوط رقم ج 356، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية-الرباط، طبعة وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، 2003.

ثالثاً: التذهيب والزخرفة:

ويحتلان مكاناً هاماً في صناعة الكتاب المخطوط، ذلك أنهما يضفيان عليه جمالية أخّاذة. ويبدو أن المصاحف الشريفة كانت أول ما حظي بالعناية من قبل الورّاقين، فكانت الورقات الأولى والأخيرة من المصحف وأسماء السور مما يُعنى بتذهيبها وزخرفتها (الشكلان 3 و4).

ومما يحتاجه -من الأدوات- من يشتغل بالتذهيب والزخرفة:

* **ورق الذهب؛**
* **المجمر:** لطبخ الغراء وتسخين الأختام والطوابع[38]؛
* **المخط:** للرسم والتخطيط فوق الجلد[39]؛
* **المرسم:** آلة لرسم النقط؛
* **المِصقلة:** وهي أداة تستعمل لصقل الكتابة بماء الذهب[40].

[38]- بنبين، أحمد شوقي و الطوبي، مصطفى: **مصطلحات الكتاب العربي المخطوط**، م. س، ص 306.
[39]- بنموسى، السعيد (1996): **تاريخ فن تسفير المصاحف الشريفة والكتب المخطوطة بالمغرب من عهد الموحدين الى عهد الشرفاء العلويين**، الرباط، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، ص 55.
[40]- المنوني، محمد: "تقنيات إعداد المخطوط المغربي"، م. س، ص 20.

رابعاً: الخطوط:

تعرف المغاربة على الخط العربي الوافد مع الفتح الإسلامي، ويبدو أنهم أجادوه مع نهاية الربع الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فقد ورد أن صالحا بن طريفٍ البرغواطي كان له خط حسن[41]. وبمرور الزمن أبدع المغاربة في الخط العربي بشكل يتلاءم وخصوصياتهم الثقافية والجمالية والفنية، فأسسوا لما سمي: **الخط المغربي**، وأنتجوا منه خطوطاً في غاية الجمال، واستطاعوا أن يُكسبوها مرونة وطواعية وقدرة على التشكل وفق الأشكال الهندسية المختلفة.

أنواع الخط المغربي وخصائصه:

يميز الدارسون للخط العربي، عموماً في المشرق والمغرب، بين نوعين أساسيين هما: الخطوط الفنية ذات القيمة الجمالية، وخطوط الكتابة الاعتيادية المستعملة لغرض التدوين. وبخصوص المغرب، فالنوع الأول يخضع لمقاييس بصرية وضوابط فنية، نتيجة التقليد والموهبة والتمرس الطويل لممارسيه، ويتعلق الأمر بالخط الكوفي والثلث المغربي والمبسوط والمجوهر والمسند-الزمامي. فيما تفتقر خطوط الكتابة الاعتيادية للقيمة الفنية العالية، وتشمل جميع الخطوط التي يَعسُر تصنيفها، والتي تستعمل للتدوين فحسب[42].

1- **الكوفي المغربي**: صنف من الخطوط تولد عن الخط الكوفي المشرقي القديم الذي وصل إلى المغرب بعد عصر الأدارسة، وتطور بالخصوص في الأندلس، فتكيّف مع الوضع المغربي وسمي كذلك، إلى جانب الكوفي الأندلسي والكوفي القيرواني. كما وقع التمييز بين الكوفي المرابطي والكوفي الموحدي... وكُتبت بالكوفي المغربي عموماً المصاحف القديمة على رَقّ الغزال أو على الورق ابتداءً من العصر المرابطي، حسبما وصل إلينا منه، ونقش على النقود وعلى الحجر بأبواب بعض المدن والقصبات، وعلى الجبس بجدران المساجد العتيقة والمدارس[43]، وقبور الملوك والأضرحة، ولا يستعمل في الكتابة العادية إلا قليلاً. يتميز بخطوطه المستقيمة وزواياه الحادة، ومن تطوره تشكلت أهم أنواع الخطوط المغربية. ولم يعد يستعمل هذا الخط بعد العصر الوسيط إلا فيما ندر[44].

2- **الثلث المغربي**: وهو مشتق من خط الثلث المشرقي، يمتاز بجمالية أخّاذة، ومن خصائصه أن حروفه ليّنة ومنسابة، وإمكانياته كبيرة على التشكل والتركيب والتداخل، ويتمتع بحرية أكبر في تطويع صور الحروف وأحجامها. يكتب الثلث المغربي بطريقتين: بسيطة تسير في اتجاه خطي، ومركبة متداخلة، واستعمل الثلث المغربي على النقود المغربية منذ العصر الموحدي، وكذا في الزخارف على الرخام والجبس والزليج والخشب في العصر المريني بجانب الكوفي أحياناً، وفي الطوابع السلطانية في العصرين السعدي والعلوي. غير

---

[41]- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت. 367هـ) : **صورة الأرض**، نشر كرامرز وآخرون، ليدن، 1938-1939، ص 82.

[42]- أفا، عمر و المغراوي، محمد (2007): **الخط المغربي، تاريخ وواقع وآفاق**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، ص 57.

[43]- المنوني، محمد (1989): **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، ج2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1، ص 365.

[44]- أفا، عمر؛ المغراوي، محمد: **الخط المغربي**، م. س، ص 57-58.

أن الخطاطين يكتفون في الغالب باستعمال الثلث المغربي لغايات جمالية، مثل كتابة العناوين والفصول والأبواب في النسخ الخزائنية المخطوطة، وذلك لصعوبة إنجازه وقراءته[45].

3- **المبسوط أو المستقيم**: هو أشهر أنواع الخطوط المغربية، وهو مشتق من الخط الكوفي، حروفه لينة ومستقيمة وممتدة، واضحة وسهلة القراءة، فهو بذلك أريح الخطوط للعين. استعمل المبسوط منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في كتابة المصاحف عوض الكوفي، وبه طبعت على الحجر بفاس والقاهرة، وذلك منذ سنة 1879م[46]. ولا تزال المصاحف تكتب بهذا الخط إلى وقتنا الحاضر[47]، كما يستعمل في عناوين بعض الكتب والمجلات.

4- **المجوهر**: انحدر هذا الخط من المبسوط في حدود القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد، واتسع انتشاره لسرعة الكتابة به، فأصبح الخط الأكثر استعمالاً بالمغرب، فكتبت به الظهائر السلطانية والرسائل الرسمية، والكتب العلمية المختلفة، وكان الخط الرسمي للمطبعة الحجرية، وطبع به أزيد من خمسمائة (500) كتاب منذ عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن سنة 1864م إلى بداية عهد الحماية الفرنسية[48]. ولا يزال المجوهر يستعمل عند العدول، لكن بقلة، وحروفه تمتاز بالدقة والصغر والتقارب، ويوحي تناسقها بعقد الجوهر. فهو خط رشيق مكثف، شديد الخصوصية، وتحتاج قراءته إلى مهارة خاصة[49]. ومن أساليبه المشهورة الخط الفاسي والسوسي والدرعي والصحراوي.

5- **الزمامي** أو **المسند**: سمي بالزمامي نسبة إلى الزمام وهو التقييد، وبالمسند لوصف ميل حروفه نحو اليمين. يكاد ينحصر استعماله في كتابة التقاييد الخاصة، وكنانيش العلماء، وعند الموثقين والعدول في الوثائق والعقود، حتى عرف عند العامة ب: **خط العْدول**[50]. وتطرح قراءته صعوبة كبيرة لسرعته.

6- **المدمج**: لا يعني نوعاً بعينه من أنواع الخط المغربي المعروفة، ولا يعدو أن يكون شكلاً من أداء الكتابة الاعتيادية السريعة التي تجمع بين مؤثرات خطين متمايزين بغاية دمجهما معاً، مثل المبسوط والمجوهر، أو المجوهر والمسند، أو المبسوط والمسند...، في أسلوب عفوي يفتقر إلى المسحة الفنية التي لسابقيه[51] (الشكلان 7 و8).

---

[45]- المغراوي، محمد (2011): "بعض القواعد الأساسية للخط المغربي"، ضمن: **الدليل المرجعي لجائزة محمد السادس لفن الخط المغربي**، الدورة الرابعة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ص31.

[46]- المنوني، محمد: **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، م. س، ص 365؛ أفا، عمر والمغراوي، محمد: **الخط المغربي**، م. س، ص 58.

[47]- آخرها المصحف المحمدي، المطبوع سنة 2010، وقبله المصحف الحسني المسبع، المطبوع سنة 1997م، والمصحف الحسني المطبوع سنة 1980.

[48]- عن المطبوعات الحجرية، يُراجع: فوزي، عبد الرزاق (1993): **المطبوعات الحجرية المغربية**، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة؛ الگندوز، لطيفة (2002): **الطباعة والنشر بالمغرب**، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، مطبعة المناهل، ج1.

[49]- أفا، عمر و المغراوي، محمد: **الخط المغربي**، م. س، ص 62-63.

[50]- أفا، عمر و المغراوي، محمد: **الخط المغربي**، م. س، ص 64.

[51]- المغراوي، محمد: "بعض القواعد الأساسية للخط المغربي" ضمن: **الدليل المرجعي**، م. س، ص32.
لمعرفة المزيد حول الخط المغربي، انظر ملفاً كاملاً عنه بالعدد31 (2011) من مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، عنوانه: **فن الخط المغربي: تاريخه وتقنياته وأساليبه**، ص ص: 9-161.

نماذج من الأنواع الخمسة للخط المغربي

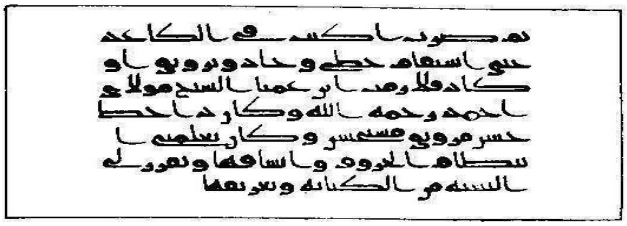

الخط الكوفي المغربي

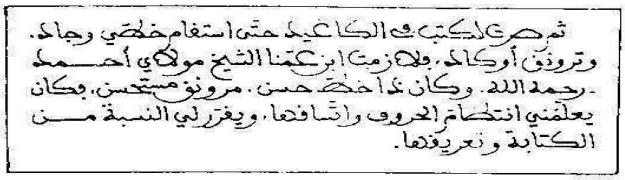

الخط المبسوط

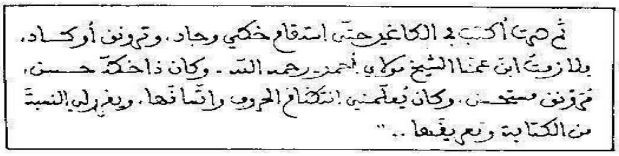

الخط المجوهر

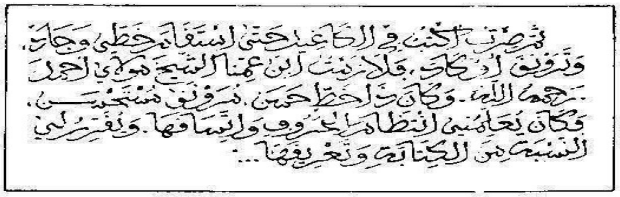

خط الثلث المغربي

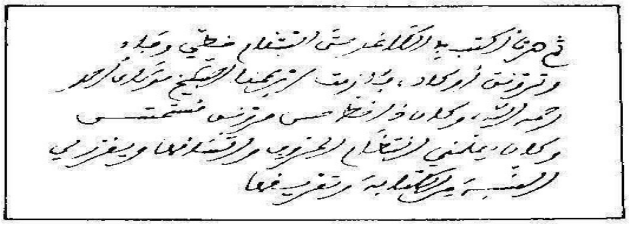

الخط المسند الزمامي

(الشكل: 7) **نماذج من الأنواع الخمسة للخط المغربي**

المصدر: أفا، عمر و المغراوي، محمد: **الخط المغربي، تاريخ وواقع وآفاق**، ص 57.

ملاحظة: الفقرة التي تكررت في النماذج الخمسة واحدة، وهي مقتبسة من مقدمة مخطوط: **حلية الكتاب ومنية الطلاب**، لأحمد الرفاعي، د254، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية-الرباط.

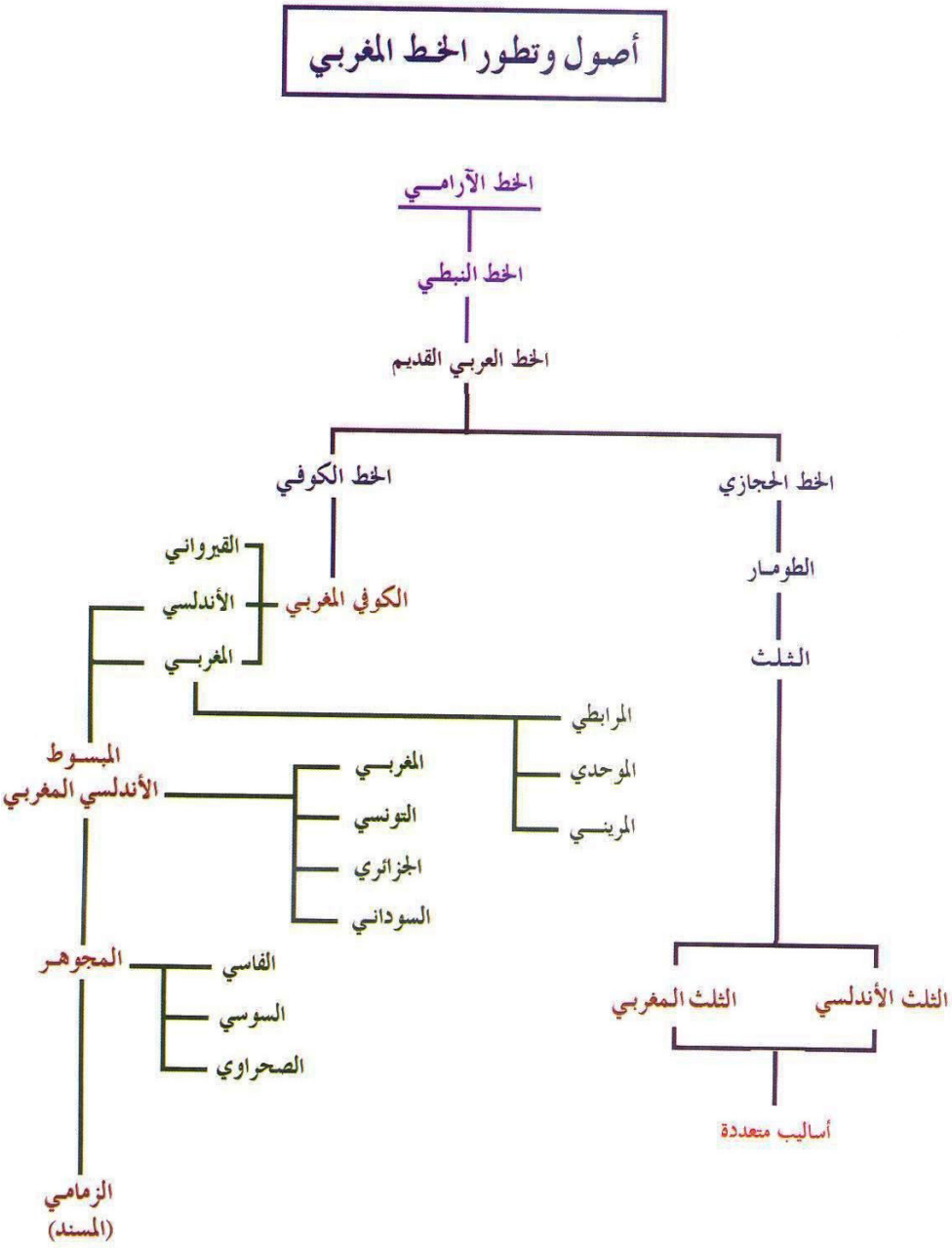

(الشكل: 8) **أصول وتطور الخط المغربي**

المصدر: المغراوي، محمد: "بعض القواعد الأساسية للخط المغربي"، ضمن: **الدليل المرجعي لجائزة محمد السادس لفن الخط المغربي**، م. س، ص 35.

ويتميز الخط المغربي بخصائص فنية وجمالية جعلت منه فناً قائما بذاته، إلى جانب قيمته الوظيفية، بوصفه أداة تواصل ونقل للمعارف والأفكار والقيم المختلفة. ومن هذه الخصائص: **الجمالية، والانسجام والتناغم، والغنى والتنوع، والتجريد، والليونة والانسيابية، والحرية التشكيلية**[52].

خامساً: الوراقة

1- تاريخها وصناعتها وخصائصها:

الوراقة-كما عرّفها ابن خلدون- هي كل العمليات الكتبية والدواوين من **انتساخ** و**تصحيح** و**تجليد**[53]. أما **النساخة** فقد كانت تقوم مقام الطباعة في العصر الحديث، ولم يتقلص استعمالها إلا بظهور آلات الطبع الحجري والسلكي والحروفي، ثم آلات الرقن والتصوير. وقد امتهنها خلق كثير، لأنها "من أحسن الحرف والأشغال، لما فيها من نشر العلم وتخليده، وقد احترف بها كثير من المقتدى بهم"[54]. و**التصحيح** يعني الوقوف على مطابقة المنسوخ للمنسوخ عنه.

أما **التسفير** فهو اصطلاح مغربي يعني ضم أوراق السّفْر بعضها إلى بعض، يقابله **التجليد** بالمشرق. وكان التسفير يحظى في المغرب باهتمام كبير، حتى غدا صناعة احترفها كثير من الناس. وقد بوّأه ابن الحاج مكانة بارزة، لما قال في **المدخل**: "إن هذه الصنعة من أهم الصنائع في الدين، إذْ بها تُصان المصاحف وكتب الأحاديث والعلوم الشرعية"[55]. ومن المواد التي يحتاج إليها المسفّر: **الورق المقوى والجلد والخيط والغراء** المتخَذ من **النشا**. أما أدواته فهي متعددة، لكن يبقى أهمها:

أ- **التخت**، أو المكبس، ويسمى في الاصطلاح المغربي (الزيّار) وبه يضغط المسفّر على الكتاب حتى يجف من الغراء[56]؛

ب- **المنجم**: آلة من الخشب تزن ستة أرطال أو أقل، تضرب بها الكراريس "حتى يسكن الكتاب ويتليّن كاغطه وينظم بعضه ببعض بقوة الضرب"[57]؛

ج- **القرطبون**: هو المثلث (l'équerre)؛

د- **المطرقة**: لضرب ما غلُظ في موضع الخياطة إذا كانت الكراريس كثيرة؛

---

[52]- للتوسع في هذه الخصائص، يُنظر: أفا، عمر و المغراوي، محمد: **الخط المغربي، تاريخ وواقع وآفاق**، م. س، ص 55-56.

[53]- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت. 808هـ/ 1406م): **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق علي عبد الواحد وافي (2006)، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط2، ج2، ص889.

[54]- أبو حامد محمد العربي الفاسي في شرحه على **دلائل الخيرات** للجزولي، مخطوط المكتبة الوطنية للمملكة المغربية (ك1532)، ص 177، نقلاً عن: المنوني، محمد: **تاريخ الوراقة المغربية**، م. س، ص 12.

[55]- ابن الحاج: **المدخل**، الإسكندرية، المطبعة الوطنية، ج3، ص 133-134، نقلاً عن: المنوني، محمد: **تاريخ الوراقة المغربية**، م.س، ص 12.

[56]- بنبين، أحمد شوقي و الطوبي، مصطفى: **مصطلحات الكتاب العربي المخطوط**، م. س، ص 61.

[57]- السفياني، أبو العباس أحمد بن محمد (ق11هـ/ 17م): **صناعة تسفير الكتب وحل الذهب**، نشر بعناية بروسبير ريكار (PROSPER RICARD)، باريس، ط2، 1925، ص9.

ه- **المدية** أو **السكين**، و**المقص** و**المِقراض والمفرط**، وتستعمل لقطع الورق والجلد، و**حجرة القوصري** لصقل التقصيص، و**المثقب** (الإشفى)، وعود لدلك الجلد الخفيف، ومحارة لدلك الجلد، و**البركار** (ويسمى الضابط أو الدابد)، و**المسطرة**، و**القاس** و**المراشم**[58]. ومن لوازم خياطة الكتاب: **الإبر**، و**الخيوط** (الصورة 17)، و**المرمّة**، وهي آلة لإلصاق الأوراق بعضها إلى بعض وخياطتها[59] (الصورتان 18 و19).

(الصورة 17) الخيط الذي يستعمل في تسفير الكتب (عدسة الكاتب)

(الصورة 18): نوع بسيط من المرمّة لخياطة الكتب (عدسة الكاتب)

(الصورة 19): آلة خياطة المخطوطات (المرمّة)، وبجانبها شمع لتسهيل عملية الخياطة
المصدر: رواق وزارة الثقافة، المعرض الدولي للنشر والكتاب -الدارالبيضاء- 2009 (عدسة الكاتب)

[58]- بنموسى، السعيد: **تاريخ فن تسفير المصاحف الشريفة**، م. س، ص 54-55.
[59]- بنموسى، السعيد: **تاريخ فن تسفير المصاحف الشريفة**، م. س، ص 54.

وللمُسَفِّر صفات ذاتية وحرفية، حددها صاحب **العُمدة** في "سرعة الفهم، وجودة النظر وحدته، وخفة اليد، وترك السرعة، والتثبت والتأني، وحسن الجلوس، وملاحة الاستمالة، وحسن الخلق"[60] (الصورة 20).

وكانت كل الأعمال المتصلة بصناعة الكتاب المخطوط وإنتاجه تتم نهاراً في ضوء الشمس، وفي الليل يستعان بوسائل للإضاءة التقليدية المختلفة من مصابيح وسرج وقناديل، وغيرها (الصورة 21).

(الصورة 20): نموذج للتسفير المغربي

(الصورة 21): نموذج من القناديل الزيتية الفخارية، تستعمل للإضاءة (عدسة الكاتب)

اشتغل بالوراقة في المغرب كثير من الناس فرادى وأُسَراً. ففي فاس، مثلاً، كانت العائلات الماجدة، سليلة الملوك الوطاسيين، والمتأففة من احتراف المهن المزرية، تتخذ الوراقة صنعة للعائلة، بحيث ينخرط كل أفرادها فيها، فتجد منهم المورّق والناسخ والمجدول والمذهب والمسفر...، يتعاونون كلهم على الكتاب حتى يخرج تاماً كاملاً[61].

ومن تاريخ الوراقة، يبدو أن أقدم ذكر لها بالمغرب ما ورد عند البكري[62] من أن الإمام يحيى بن إدريس (يحيى الرابع: حكم بين سنتي 292 و305هـ/ 904 و917م) اتخذ عدداً من الوراقين ينسخون له، إلا أننا لا نعرف أحداً منهم أو أعمالهم[63].

---

[60]- مجهول (من أهل القرن 5هـ/ 11م): **عمدة الكتّاب وعدة ذوي الألباب**، ص 157. نقلاً عن: شبوح، إبراهيم: "مصدران جديدان عن صناعة المخطوط: حول فنون تركيب المداد"، م. س، ص 17.

[61]- الكتاني، عبد الحي: **الإفادات والإنشادات وبعض ما تحمله من لطائف المحاضرات**، نقلاً عن: المنوني، محمد: "تقنيات إعداد المخطوط المغربي"، م. س، ص31-32. وقد ذكر الكتاني من الأسر الفاسية التي كانت تشتغل بالوراقة، أسرة الحلو الوطاسية، التي وجد من أعمالها نسخة من صحيح البخاري تباع في تونس عند زيارته لها سنة 1340هـ/ 1921م، قال إنها "من النفاسة بمكان: جودة خط، وحسن ضبط ومقابلة وإتقان، إلى ورق جيد صقيل غليظ كأنه جلد، وتذهيب وتراجم وجدويل وتسفير فائق، وفوق هذا نهاية في الصحة (...) وبالجملة، فهي نسخة نادرة لا نظير لها في الصحة والجمال والبهاء..."

[62]- البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، م. س، ص 132.

[63]- المنوني، محمد: **تاريخ الوراقة المغربية**، م. س، ص 17.

وفي العصر المرابطي استأثر الأندلسيون بالنساخة والوراقة[64]، لكن المصادر حفظت لنا خمسة أسماء لوراقين مغاربة، هم: عبد الملك بن عبد العزيز بن وليد اللخمي الشاطبي (كان حيّاً سنة 498هـ/ 1104م)[65]؛ ويحيى بن محمد بن عباد اللخمي، وكان معاصراً لعلي بن يوسف، ولعله كان وراقاً له؛ وزاوي بن مناد بن عطية الله بن المنصور أبو بكر بن تُقْسوط الصنهاجي (توفي سنة 539هـ/ 1145م)[66]؛ والقاضي عياض بن موسى السبتي (توفي سنة 544هـ/ 1149م)؛ وأبو العباس احمد بن عبد الله بن احمد بن هشام اللخمي الفاسي، سكن بمصر وبها توفي سنة 560هـ/ 1164م، وكان يشتغل في الوراقة بمساعدة زوجته وابنته، وكان الناس لا يفرقون بين خطوطهم لتماثلها[67].

وعرفت الوراقة ازدهاراً كبيراً خلال العصر الموحدي، ساعد على ذلك ما كان للخلفاء أنفسهم من اهتمام بهذه الصنعة، فقد كانوا يجيدون خطوطاً عديدة، وكانت الوثائق الرسمية الصادرة عنهم تعلوها عبارة (الحمد لله وحده) يكتبونها بخط الثلث[68]. ويتجلى ذلك أيضاً في اتخاذهم خطاطين مهرة لأبنائهم، فقد كان لعبد المؤمن بن علي ثلاثة عشر من الأبناء كلهم خطاطون، فضلاً عمّا عرف به الخليفة أبو حفص عمر المرتضى (ت. 665هـ/ 1256م) من براعته في الخط[69]، وإجادته الكتابة بثلاثة خطوط[70]، وكان من منتسخاته ربعة قرآنية في عشر مجلدات[71].

كان لابد لهذا الاهتمام من قبل الخلفاء أن يكون له أثر في المجتمع، وهكذا شهد العصر الموحدي نبوغ العديد من الوراقين، حفظت لنا بعض المصادر أسماء ستّ وعشرين، منهم ثلاث نساء[72]. ومن شواهد هذا الازدهار أيضا ما ذكر عن وجود 400 مصنع للورق في فاس وحدها[73].

وفي العصرين المريني والوطاسي، عاد التأثير الأندلسي، وحاولت الوراقة المغربية أن تحافظ على المستوى الذي كانت عليه في العصر السابق، مع اختلافات واضحة، وهكذا عُرف من وراقي العصرين ثمان وثلاثون، منهم عدة سلاطين وامرأة واحدة[74].

---

[64]- المنوني، محمد: **تاريخ الوراقة المغربية**، م. س، ص 21.
[65]- ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، تحقيق إحسان عباس، السفر 5، القسم 1، رقم 79، نقلاً عن: المنوني، محمد: **تاريخ الوراقة المغربية**، م. س، ص22.
[66]- ابن الأبّار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت. 658هـ/ 1260م): **المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي**، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1967، ص 92-94، ترجمة رقم 75.
[67]- المنوني، محمد: **تاريخ الوراقة المغربية**، م. س، ص 24.
[68]- المنوني، محمد (1989): **حضارة الموحدين**، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط1، ص 180.
[69]- مجهول (مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري): **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكّار وعبد القادر زمامة (1979)، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط1، 168.
[70]- المنوني، محمد: **تاريخ الوراقة المغربية**، م. س، ص 28.
[71]- تحتفظ المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط ببعض مجلداته.
[72]- عن أسمائهم ومواطنهم ومجالات تميزهم، أنظر: المنوني، محمد: **تاريخ الوراقة المغربية**، م. س، ص ص 34-42.
[73]- ابن أبي زرع الفاسي، علي (726هـ): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1420/1999.
[74]- للتوسع في الموضوع، انظر: المنوني، محمد: **تاريخ الوراقة المغربية**، م. س، ص ص 59-70.

وابتداءً من العصر السعدي، اتخذت الوراقة شكلاً جديداً، حيث أسست أول مدرسة لتعليم الخط في جامع المواسين بمراكش بإشراف الخطاط عبد العزيز بن عبد الله السكتاني. وبرز خلال هذا العصر اثنان وستون وراقاً، منهم أحمد المنصور السعدي[75]. ويبقى العصر العلوي أغنى العصور من حيث المشتغلين بالوراقة ومن حيث الإنتاج كذلك إلى حين ظهور الطباعة الحجرية[76]. (الصورة 22).

(الصورة 22): نموذج من المطبوعات الحجرية: كتاب: **تحرير الهندسة الإقليدية**، من تأليف نصير الدين خوجة، الجزء الأول (طبع بفاس سنة 1293هـ/ 1876م).
المصدر: معرض المخطوطات بمكتبة آل سعود بالدار البيضاء، 2009 (عدسة الكاتب)

[75]- المنوني، محمد: **تاريخ الوراقة المغربية**، م. س، ص ص 75-109.
[76]- المنوني، محمد: **تاريخ الوراقة المغربية**، م. س، ص ص 113-328.

2- أشهر الوراقين المغاربة:

أحصى الأستاذ محمد المنوني عدداً كبيراً منهم، تواتر ذكرهم في المصادر خلال الفترة الممتدة من العصر الوسيط إلى المعاصر، فعدّ من الرجال (572)، منهم (376) من الوراقين النساخين، و(44) من المخرجين لمؤلفات خاصة، و(22) من المورقين في مادة أو مواد متقاربة، و(28) من النساخين الذين حققوا أرقاما مرتفعة، و(5) من الوراقين الذين أنجزوا منتسخات في وضع متأزم، و(17) من المورقين بخطوط منوعة، و(18) من مصححي المنتسخات، و(16) من المسفّرين ومصلحي الكتب، و(34) من المزخرفين، و(12) من الوراقين الذين لهم بعض الخصوصيات. ومن النساء وقف المؤلف على ثلاثة عشر (13) من الورّاقات[77].

ومن جهته، عدّ الأستاذ أحمد بوزيد الگنساني، بالصقع السوسي وحده، نحواً من ستّ وثمانين من الوراقين، ابتداءً من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[78].

خاتمة:

بدا واضحاً –من خلال هذا الاستعراض الوجيز- أن صناعة الكتاب المخطوط وإنتاجه بالمغرب لها رصيد تاريخي كبير، يعود إلى بدايات العصر الوسيط ويمتد إلى القرن العشرين. كما أن هذه الصناعة طبعت بخصوصية مغربية أصيلة، تجلّت في المواد الأولية والأدوات والآلات المستعملة فيها، من أقلام وأحبار وأصباغ وألوان ورقوق وأوراق وأخشاب... وغيرها، وكلها محلية المصدر، ومروراً بمراحل إعداد الكتاب، منذ أن يكون فكرة إلى أن يصير جاهزاً وقابلاً للاستعمال في حلّة بديعة. وكلها أمور تشهد على المهارات المتعددة والدقيقة للإنسان المغربي الصانع الماهر والمحترف.

وتبيّنت، من جهة أخرى، المكانة التي كانت تحتلها هذه الصناعة في الميدان الاقتصادي والتنموي، فهي تشغّل فئةً عريضةً من الحرفيين يعيلون شريحة واسعة من أبناء المجتمع. وإن الحفاظ على ممارسة هذه الصناعة وتنمية هذه الحرف من جديد، كفيل بضمان استمراريتها، وستساعد على ترميم ما تأثر بعوامل الزمن والطبيعة والإنسان من التراث المخطوط.

---

[77]- انظر الكشاف الذي ذيّل به محمد المنوني كتابه: **تاريخ الوراقة المغربية**، م. س، ص ص 331-355.

[78]- الگنساني، أحمد بوزيد: "من تاريخ الوراقة والوراقين بمنطقة سوس"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط**، ع 21-22 (1996-1997): ص ص 97-142.

نماذج من بعض المخطوطات العربية والأمازيغية المنتَجة بالمغرب:

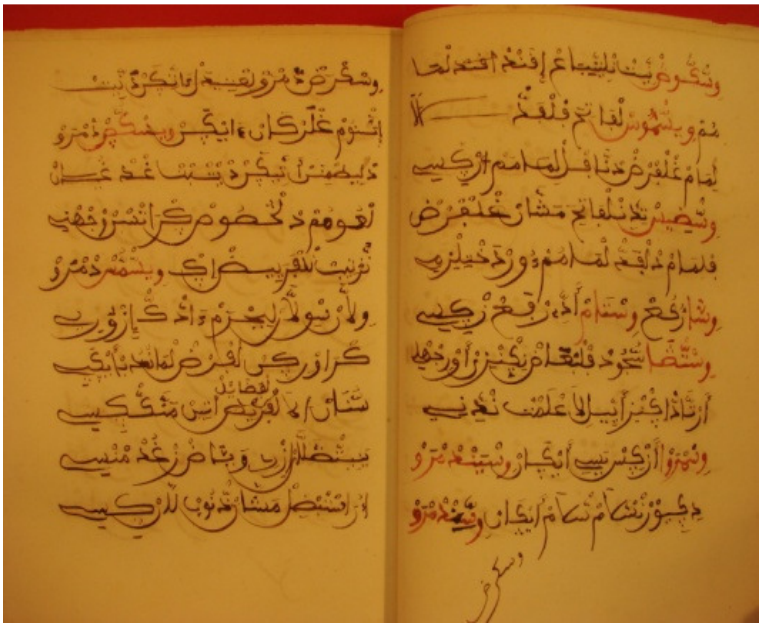

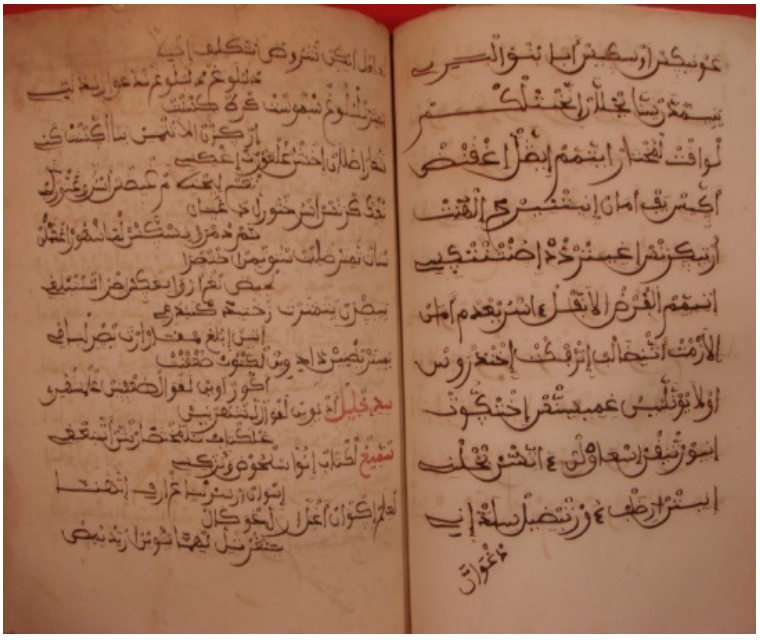

كتاب **الحوض:** امحمد وعلي أوزال (القرن 12هـ/ 18م)

إبراهيم بن علي المرتيني الأقاوي (القرن 12هـ/ 18م):
السّرى للسعادة بالحسنى وزيادة (معجم أمازيغي عربي)
المصدر: معرض المخطوطات بمكتبة آل سعود بالدار البيضاء، 2009 (عدسة الكاتب)

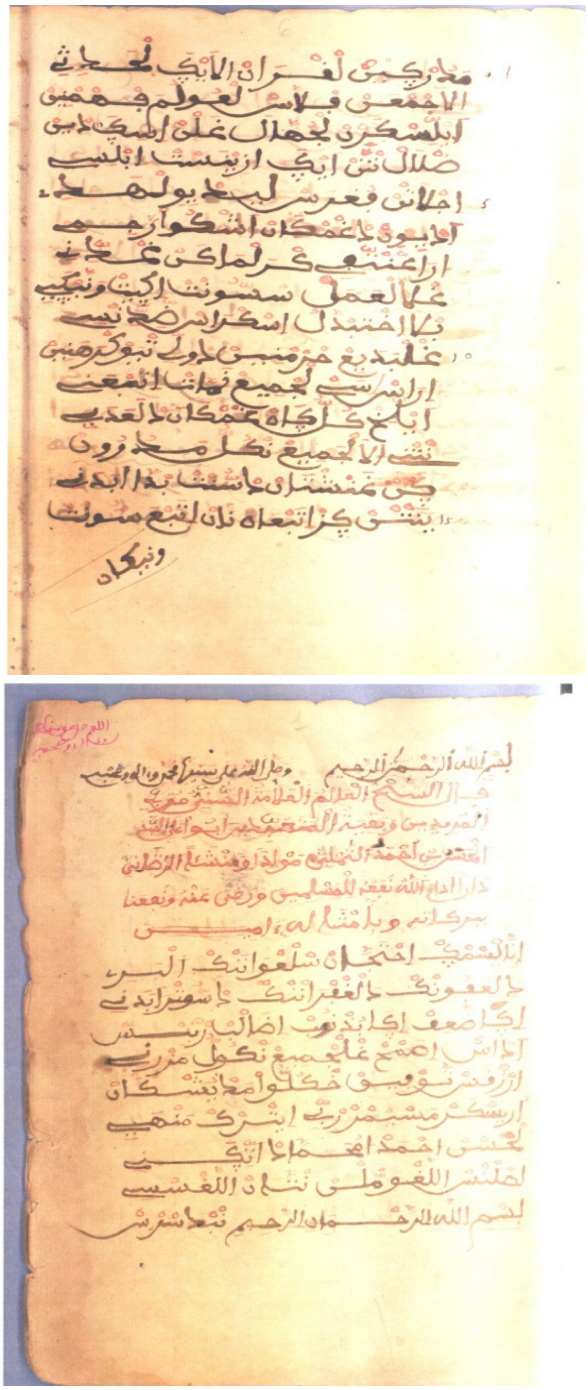

الحسن بن أحمد التملّي الإرَزاني (ت. 1308هـ/ 1890م): **كتاب البدع** (مخطوط خاص)

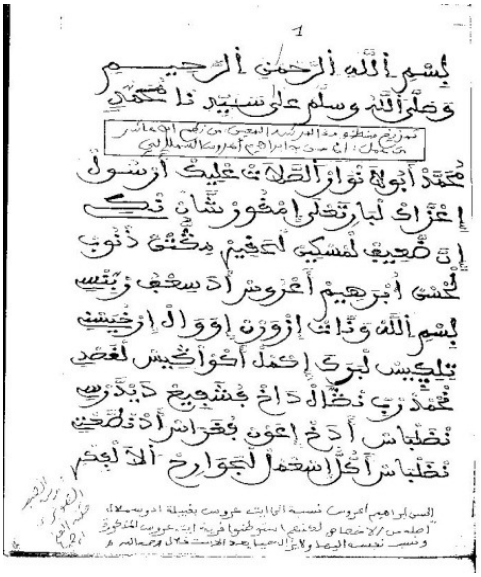

الحسن بن إبراهيم أعروس (ق.13هـ/ ق.19م): ترجمة متن **ابن عاشر** إلى الأمازيغية (مخطوط خاص)

عبد الحميد الصوفي التامگونسي: كتاب **تليلا**، وهو شرح لرسالة ابن أبي زيد القيرواني بالأمازيغية (1996) (مخطوط خاص)

مصحف بخط مغربي (الخزانة الحسنية، الرباط)

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأبّار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت. 658هـ/ 1260م)، (1967): **المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي**، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

أفا، عمر و المغراوي (2007)، محمد: **الخط المغربي، تاريخ وواقع وآفاق**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1.

أفا، عمر (1989): "الألواح"، **معلمة المغرب**، ج2، ص 656-657.

البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت. 487هـ/ 1094م)، (1857): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، نشر البارون دوسلان، الجزائر.

الإلغي، صالح بن عبد الله (1998): **المدرسة الأولى، وصف شامل للتعليم الأوّلي بالمدرسة القرآنية في سوس**، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة.

بنبين، أحمد شوقي و الطوبي، مصطفى (2011): **مصطلحات الكتاب العربي المخطوط (معجم كوديكولوجي)**، مطبوعات الخزانة الحسنية، الرباط، مطبعة أبي رقراق، ط4.

بنموسى، السعيد (1996): **تاريخ فن تسفير المصاحف الشريفة والكتب المخطوطة بالمغرب: من عهد الموحدين إلى عهد الشرفاء العلويين**، الرباط، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع،.

حمودة، محمود عباس (1994): **تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط**، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت. 367هـ/ 977م)،: **صورة الأرض**، نشر كرامرز وآخرون (1938-1939)، ليدن.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت. 808هـ/ 1406م): **مقدمة ابن خلدون**، 3ج، تحقيق علي عبد الواحد وافي (2006)، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط2.

السفياني، أبو العباس احمد بن محمد (ق 11هـ/ 17م): **صناعة تسفير الكتب وحل الذهب**، نشر بعناية بروسبير ريكار/ PROSPER RICARD (1925)، مع معجم لمصطلحاته مترجمة إلى الفرنسية، باريس، ط2.

عبد الوهاب، حسن حسني (1965): **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، 3ج، تونس، مكتبة المنار.

القلقشندى، أحمد بن علي القاهري (ت. 821هـ/ 1418م)، (1913): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، القاهرة، المطبعة الأميرية.

القللوسي الأندلسي، أبو بكر محمد (ت. 707هـ/ 1308م)**: تحف الخواص في ُطرف الخواص، في صنعة الأمدّة والأصباغ والأدهان،** تحقيق حسام أحمد مختار العبادي (2007)، منشورات مكتبة الإسكندرية.

الكَنساني، أحمد بوزيد: "من تاريخ الوراقة والوراقين بمنطقة سوس"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط**، ع 21-22 (1996-1997)، ص ص 97-142.

مجهول (مؤلف أندلسي من أهل القرن 8هـ/ 14م): **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكّار وعبد القادر زمامة (1979)، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط1.

المقدسي البشاري، أبو عبد الله شمس الدين (ت. 390هـ/ 999م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق دي غويه (1906)، ليدن، ط 2.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الإفريقي المصري (ت. 711هـ/ 1311م)، (2004): **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط3.

المنوني، محمد (1989): **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، ج2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1.

المنوني، محمد (1989): **حضارة الموحدين**، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط1، 1989، ص 180.

المنوني، محمد (1991): **تاريخ الوراقة المغربية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1.

المنوني، محمد (1994): "تقنيات إعداد المخطوط المغربي"، ضمن أعمال ندوة: **المخطوط العربي وعلم المخطوطات**، منشورات كلية الآداب بالرباط.